في ٨ آب ١٩٧٠

أيها المناضلون الفلسطينيون إننا نؤيدكم بكل قوة

كتبه للهدف : ستفان بكمان

هذا اليوم هو اليوم الذي وصلت فيه المؤامرة الامبريالية الكبيرة الى وقف اطلاق النار على قناة السويس ، انه يوم حصل فيه العديد من الفلسطينيين وغيرهم من العرب ، وايضا عديدون خارج العالم العربي ، على دلائل كاملة ، بأن بعض القوى التي لعبت دورا تقدميا في النضال ضد الامبريالية بالامس ، تلعب دورا رجعيا اليوم .

انه يوم يعني دلالة ايضا على ان كل نضال ، كما كل ظاهرة في العالم ، يتطور على اساس الديالكتيك ، وبثبت ان هؤلاء الذين كان موقفهم المناهض للامبريالية مجرد نتيجة للدوغمائيوتوليس لنظرية صحيحة ، لا بد وان يقعوا في وقت من الاوقات ، في احضان الامبريالية .

ان الشعب الفلسطيني يبدو اليوم ، ظاهريا، اكثر عزلة عما كان عليه في السابق . ولكن هذا الانطباع خاطيء في صواحي ثلاث :

اولا : انت لا تصبح اكثر عزلة ، لان حقيقة طبيعة هؤلاء الذين كنت تعتبرهم خطا مساندين لك ، قد انكشفت ، وعوضا عن ذلك ستكون اكثر قوة لان ذلك يمكنك من التفكير بشكل سليم اكثر .

ثانيا : ان نضال الشعب الفلسطيني الشجاع قد اثار عطف جماهير الشعب العربي الواسعة بشكل اكبر مما كانت عليه قبل بضع سنوات ، وهذا الناطق سينمو بالضرورة الى دعم اشد واشد صلابة عندما يبين النضال ان الثورة الفلسطينية هي رأس حربة الثورة العربية ، ويجبر في الوقت ذاته الرجعيين وما يسمى بتقدمي الامس ، على « اظهار حقيقة موقفهم ».

ثالثا : ان لدى الشعب الفلسطيني الدعم الصلب من القوى التقدمية الحقيقية في انحاء العالم ، وانه ليس عطفا على اناس بؤساء ، ولكنه التضامن الذي يعطى لشعب يقاتل من اجل حقوقه ومستقبله .

وانا اتكلم كواحد من هؤلاء في الخارج ، الذين يحاولون اقصى جهدهم العمل على دعم نضالكم الفلسطيني ، نحن نتابع بكل دقة كل تطور جديد في النضال وما يحيط به ، ونحاول ان نتعلم منه ، حتى نستطيع معرفتنا فيما بعد للتحريض والتظاهر ، لاعطاء الشعب في بلادنا المعلومات الصحيحة عن نضالكم، حتى يمنحوكم المزيد من الدعم .

انني من بلد ينتمي اليها الدعو السيد غونار يارينغ . انه يخدم الامبرياليين بنفس الطريقة التي خدمهم بها من قبل مواطن اخر لنا هو السيد داغ همرشولد . ان الحكومة في بلدي قد عبرت عن ارتياحها لوقف اطلاق النار الجديد – وهذه الحكومة تسمي نفسها « اشتراكية » ، او « ديمقراطية اشتراكية » . في الواقع انه نظام مرتبط بشكل وثيق بالرأسمال الاحتكاري في السويد ، المرتبط بدوره ، بالرأسمال الاحتكاري الاوروبي والاميركي .

ستقاتل حكومتنا يوما ما وستسقطها مع قاعدتها الرأسمالية . ولكن قبل ان تصبح قادرين على ذلك ، يمكننا ان نرغمها على تغيير موقفها من المسألة الفلسطينية . نستطيع ان نعمل لحمل الشعب السويدي على دعم النضال الفلسطيني، حتى نجعل في النهاية من المستحيل على الحكومة ان تمنح دعمها لاسرائيل والامبريالية في العالم العربي . بهذا نستطيع ان نضعف الامبريالية من الداخل . ان المعلومات التي نشرناها حملت اليوم ، منظمة الشبيبة الحكومية على اتخاذ موقف : ان الشعب الفلسطيني يطوض نضالا عادلا ، وان اسرائيل دولة توسعية.

وفي هذا الشهر ، آب ، ١٩٧٠ ، ستقوم ثلاث منظمات للنضال مع نضال الشعب الفلسطيني ، من ثلاث مدن في السويد – ستوكهولم ، غوتينبرغ ، ولوند – ستشكل منظمة ستعمل على نشر فروعها ونشر المعلومات في انحاء السويد . وهنالي السويد يصبح الشعب الفلسطيني بالتالي ، اقل واقل عزلة مع مرور كل يوم ، والشيء نفسه يحصل في العالم كله. والسبب الرئيسي هو ان النضال الفلسطيني قد تمكن بنجاح من كشف التناقضات المخبأة في الشرق العربي .

والسبب في قدرته على كشف هذه التناقضات، هو انها تمثل شكلا جديدا للنضال في العالم العربي : نضال الشعب ، الجماهير . وحيث في السابق كان هناك الافطاعيون والملوك الذين ارغموا الشعب على القتال من اجل مصالحهم الملكية والاقطاعية ، وحيث مؤخرا ، كانت هناك نظم بورجوازية صغيرة جعلت الشعب يقاتل من اجل مصالح البورجوازية الصغيرة القبلية، واليوم هناك الشعب ، العمال والفلاحون ، الذين يقودون نضالهم من اجل ارضهم ، حقوقهم ، بيوتهم وبالتالي هم، وهذا يخيف النظم الملكية والاقطاعية والبورجوازية الصغيرة التي ما زالت قائمة ، لانهم يعرفون ان مصالح الشعب ليست فقط التحرر الامبريالي والصهيونية، بل من كل اشكال الاضطهاد ، ومن كل طبقة تحاول ان تسيطر على العمال والفلاحين ، وبالتالي فان هذه الانظمة الملكية والاقطاعية والبورجوازية الصغيرة ، ستجبر واحدة بعد الاخرى ، على كشف وجوهها الحقيقية ، ونصفها او اكثر ، يتنسم دائما للامبرياليين .

ونحن الذين تابعنا النضال الفلسطيني عن كثب ، نعرف ان الشعب الفلسطيني ينمو بالمعرفة والقوة يوما بعد يوم . طبعا نعرف ان هناك الكثير مما يجب الشفاء منه ، بعد فترات طويلة من الاستعمار وحياة مخيمات اللاجئين ، ونعرف ايضا ان بعض المنظمات الفلسطينية ما تزال متمسكة بنظريات بورجوازية صغيرة بسبب مواصفاتها وتاريخ قيادتها . ولكننا رأينا كيف تطور النضال الفلسطيني خلال الثلاث القصير الذي دامت فيه هذه المرحلة الجديدة ، ورأينا كيف تحقق النظرية الصحيحة نمرة وراء نمرة ضد المؤامرات الامبريالية ، ونعرف بالتالي ان هذا اليوم من شهر آب ، ١٩٧٠ ، سيكون بداية تطور سريع اكثر من ذي قبل الان عندما يسيطر التناقض الاساسي على النضال – بين الشعب الفلسطيني – العربي من جهة ، وبين الامبريالية ومخفرها الامامي اسرائيل من جهة اخرى – عوضا عن تلك التناقضات الثانوية التي طالما انحرفت بالنضال عن طريقه الصحيح .

سأنهي هذا المقال بشعارات المنظمة التي انتمي اليها : « هيئة العمل – الجبهة الفلسطينية » :

- ادعموا نضال الشعب الفلسطيني .
- قاتلوا الامبريالية .
- قاتلوا الصهيونية .

□ س . ب – ستوكهولم

بقلم: ظافر

محاولة تقييم لحرب الاستنزاف .. التي انتهت بالاستسلام

ليست صحيحا القول بأن النظام في القاهرة قبل شروط روجرز من موقف قوة وهذه هي الأسباب العلمية !

من بين الاسباب التي يرددها « متفهمو الحل السلمي » لقبول مقترحات روجرز الاستسلامية ، السبب الذي يقول ان مصر قبلتها من موقع قوة ، وان حرب الاستنزاف التي شنتها مصر ضد العدو قد ارغمته على قبول شروط روجرز ، التي هي تنفيذ اجرائي لقرار مجلس الامن الذي – كما قال هيكل – اعطى مصر اكثر مما تستحق في اعقاب وقف أطلاق النار .

الا ان هذا الكلام غير المسؤول ، الغوغائي والمضلل ، لا يعتمد على تقييم علمي لحرب الاستنزاف ، وهو يدخل في نطاق الخداع السخيف .

في المقال التالي يقدم « ظافر » دراسة اولية حول هذه المسألة الحيوية . « الهدف »

وتأمين الحماية لعدد من الاهداف المدنية الحيوية التي قد تستهدفها اسرائيل .

وفي محاولة للرد على تلك الغارات العميقة لجأت مصر الى التصاعد فاستخدمت بشكل كثيف ومتزايد الدفاع الجبارة التي نصبت على الضفة الغربية لقناة السويس والتي تعطي لمصر تفوقا في هذا السلاح اعترفت اسرائيل بوجوده اكثر من مرة .

لقد شكل هذا التصاعد تحولا جديدا لغير صالح اسرائيل خصوصا وان لقصف المدفعية اثر نفسي معروف على معنويات الجنود والضباط حين يستمر لفترات طويلة ويوقع خسائر بشرية لا يمكن الاستهانة بها .

ولجأت اسرائيل بدورها الى التصاعد لتتفوق من هذا الموقف غير الملائم لها فكان ان بدأت غاراتها الجوية في عمق الاراضي المصرية ، وقد ساعدها على ذلك عاملان هامان :

● ١ – حصولها على عدد من طائرات الفانتوم الاميركية ذات المدى البعيد والقادرة على حمل ما يقارب ثمانية اطنان من القنابل والمتفجرات .

● ٢ – الضعف الواضح في سلاح الجو المصري وفي الدفاعات الارضية بمواجهة الغارات الاسرائيلية على الأرتفاعات المنخفضة .

وفي هذه المرحلة ضربت اسرائيل ضواحي القاهرة ، وحلوان ، وانشاص ، وانزلت خسائر بشرية كبيرة في غاراتها المشهورة على معمل في أبي زعبل .

مرة اخرى وجدت مصر نفسها في وضع غير ملائم فاضطرت الى اللجوء الى التصاعد . ولكن التصاعد لم يكن ممكنا هذه المرة دون الاستناد بالاتحاد السوفياتي بشكل مباشر وعملي . ذلك ان تدعيم الدفاعات الجوية كان يستلزم اقامة شبكة حديثة للرادار والممدات الالكترونية المعقدة ، كما كان يستلزم نصب صواريخ من نوع سام٢ (للطائرات المرتفعة) وصواريخ سام٣ (للطائرات المنخفضة) وربطها جميعا بنظام دقيق للدفاع الجوي .

وللوصول الى تلك الغاية اضطر الاتحاد السوفياتي الى ايفاد طواقم كاملة من قواته المسلحة للقيام بهذه المهمات ، كما انه استعار بطياريه لحماية مراكز الصواريخ وعدد من المدن الرئيسية . وقد ادى هذا التصاعد الى دخول الاتحاد السوفياتي كطرف مباشر في النزاع مما حرك الولايات المتحدة لضمان حماية التفوق الاسرائيلي .

وقد بلغ الموقف الاميركي حد الصلافة الكاملة والمجردة عن كل منطق حين أعلنت اميركا ان نصب شبكة الدفاع الجوي فوق اراضي ج.ع.م يغلب الموقف في غير صالح اسرائيل لانه يحرمها من قدرة القيام بغارات العمق . ان هذا الموقف لا شبيه له في التاريخ المعاصر سوى تحرش هتلر بالدول المجاورة له قبل الانقضاض عليها واحتلالها .

وهكذا .. وبفضل الدفاعات الجوية المتقدمة التي قدمها الاتحاد السوفياتي الى ج.ع.م، فان اسرائيل توقفت عن غارات العمق وراحت تشن غارات شديدة المركز والكثافة على طول قناة السويس . والظاهر ان اسرائيل كانت تستهدف من غاراتها الغايات التالية :

■ ١ – تجنب العرض للخسائر العالية التي قد تنتج عن قيام طائراتها بغارات العمق وجعل الكثيفة على قناة السويس نحل محل غارات العمق . وقد كان ذلك ممكنا بالنظر لعدم اقدام « التفلق السوفياتي في الشرق الاوسط » . ولم يكن صدفة انطلاق بعض الروايات حول صدام بين الطيارين الاسرائيليين والطيارين السوفيات و « النجاح » الذي حققه الطيارون الاسرائيليون في ذلك الصدام . فقد كان ذلك كله ضمن مخطط « التصدي الاسرائيلي » (نيابة عن اميركا) « للنفوذ السوفياتي » في المنطقة . وقد المحت اسرائيل اكثر من مرة الى « استعدادها» للتصدي للطيارين السوفيات اذا اقتضت ظروفها العسكرية ذلك .. وقد كان هذا الكلام يلقى ردود فعل ايجابية على الجانب الاميركي بعد ان « فجعت » اميركا بهزيمة كل حلفائها في الشرق الاقصى مرة تلو الاخرى .

وقد دفع ذلك العديد من رجال مجلس الشيوخ الى حث الرئيس نيكسون على تزويد اسرائيل بحاجتها من الطائرات . والشيء الذي بات شبه مؤكد هو ان نيكسون قد قرر تعويض اسرائيل عن خسائرها في الطائرات بالاضافة الى تزويدها بطائرتي فانتوم كل شهر الى امد غير محدود .

في مثل هذا الجو طرحت « المبادرة الاميركية » ومن الواضح انها طرحت في مرحلة كان الجانب العربي فيها في الموقع الاسوأ . وتلك الحقيقة تعكس نفسها على كل ما تبعها من احداث . وليس صحيحا القول بان الجمهورية العربية المتحدة قبلت المبادرة الاميركية من موقف قوة .. **بل الواقع الراهن هو انها قبلتها من موقف ضعف .**

ان السياق الاخير للاحداث العسكرية كان لغير صالح العرب ، فاسرائيل كانت تتمتع بامتياز واضح عن طريق غاراتها الجوية الكثيفة على منطقة القناة .. ووقف اطلاق النار جرى القبول به وتنفيذه في ظل هذه الخلفية التي لا يمكن انكارها او تناسيها .

■ ٢ – ايقاع خسائر بشرية كبيرة في الجانب العربي تعمل الغارات الكثيفة في محاولة لاقناعه بعدم جدوى الاستمرار في « حرب الاستنزاف » .. أي محاولة تحويل الحرب الى حرب لاستنزاف الجانب العربي لا الجانب الاسرائيلي .

ولم تكن تلك هي المرة الاولى التي تغلب فيها اسرائيل ساعيا، وضعها البشري والجغرافي لصالحها .. فقد نجحت اسرائيل في ان تغلب السلاح الموجود في يد العرب الى سلاح ضدهم. فبدلا من ان يكون « الاستنزاف البشري » هو السلاح العربي في وجه اسرائيل .. فان الغارات الجوية الكثيفة نجحت في جعل الجانب العربي يدفع خسائر بشرية اكبر !!

■ ٤ – اقناع اميركا بان في مقدورها الاعتماد على اسرائيل لوقف ما تسميه اميركا واسرائيل « التغلغل السوفياتي في الشرق الاوسط » . ولم يكن صدفه انطلاق بعض الروايات حول صدام « للنفوذ السوفياتي » في المنطقة . وقد المحت اسرائيل اكثر من مرة الى « استعدادها» للتصدي للطيارين السوفيات اذا اقتضت ظروفها العسكرية ذلك .. وقد كان هذا الكلام يلقى ردود فعل ايجابية على الجانب الاميركي بعد ان « فجعت » اميركا بهزيمة كل حلفائها في الشرق الاقصى مرة تلو الاخرى .

وقد دفع ذلك العديد من رجال مجلس الشيوخ الى حث الرئيس نيكسون على تزويد اسرائيل بحاجتها من الطائرات . والشيء الذي بات شبه مؤكد هو ان نيكسون قد قرر تعويض اسرائيل عن خسائرها في الطائرات بالاضافة الى تزويدها بطائرتي فانتوم كل شهر الى امد غير محدود .

في مثل هذا الجو طرحت « المبادرة الاميركية » ومن الواضح انها طرحت في مرحلة كان الجانب العربي فيها في الموقع الاسوأ . وتلك الحقيقة تعكس نفسها على كل ما تبعها من احداث . وليس صحيحا القول بان الجمهورية العربية المتحدة قبلت المبادرة الاميركية من موقف قوة .. **بل الواقع الراهن هو انها قبلتها من موقف ضعف .**

لا تعبئة شعبية لخوض الحرب في ظل فوضى وتخبط حول سبب الحرب ذلك فانون من قوانين التعبئة النفسية والمعنوية .

٤ – الاعتماد الكلي على الجبهة الامامية (القوات النظامية) دون ان يكون هناك جبهة خلفية مدربة ومهيأة للقتال . وقد جاءت هذه الثغرة القاتلة في وقت تلاشت فيه الفواصل والحدود بين جبهة القتال والمؤخرة بسبب حرية الحركة وبروز وسائط سريعة لنقل القوات القاتلة كالهليكوبتر والحوامات والوسائط البرمائية .

لا بد لشرح ما ذهبنا اليه من الاستعانة ببعض الامثلة :

على ضوء ما تقدم باماكننا القول بان تجربة الجمهورية العربية المتحدة في حرب الاستنزاف لم تكن تجربة ناجحة بالشكل المطلوب . ويرجع افتقار هذه التجربة الى النجاح الى سبب رئيسي وحاسم تتضاءل ازاءه كل الاسباب الثانوية الاخرى . **هذا السبب هو عدم تعبئة الشعب بالشكل الصحيح والفعال لخوض حرب من هذا الطراز .**

ذلك ان الخامة البشرية هي عنصر حاسم في حروب الاستنزاف والظرف الذي ينجح في ان يعبيء شعبه بشكل افضل هو الظرف القادر في النهاية على انتزاع النصر .

وكما يوحي اسم هذه الحرب فانها حرب نزف في الموارد البشرية والمادية والمعنوية . والظرف الاقدر على تحمل هذا النزيف هو الظرف المهيء لكسب مثل هذه الحرب .

ان الكثافة السكانية تبقى قوة كامنة ما لم تهيأ الجماهير الشعبية وتعبأ لخوض هذه الحرب. والذي حصل في مصر ان الكثافة السكانية بقيت قوة معطلة .. وقد نتج ذلك عن مجموعة اسباب:

١ – غياب التنظيم السياسي الحقيقي والقادر على تعبئة الشعب تعبئة ثورية حقيقية واعداده لخوض حرب استنزاف طويلة النفس .

٢ – بسبب غياب ذلك التنظيم السياسي فان السلطة كانت تخاف من تسليح الشعب واعداده للمعركة . وما حدث من محاولات في هذا المجال بقيت محاولات محدودة ودون المستوى المطلوب .

٣ – فشل جهاز الاعلام في وضع الجماهير في المناخ المناسب لحرب الاستنزاف . فقد تراوح هذا الجهاز بين المبالغة بخسائر العدو (بدون اساس منطقي وعلمي) وبين الاخفاء الساذج لاوضح الخسائر على الجانب العربي .

اضف الى ذلك ان جهاز الاعلام نفسه تتنازعه تيارات متضاربة مما زاد في البلبلة والفوضى .

ومن براجع المواد التي صدرت عن جهاز الاعلام في ج.ع.م خلال الثلاث سنوات الاخيرة فانه سيقع في حيرة حول موضوع جوهري واساسي وهو : لماذا هذه الحرب ؟

– فمرة تكون الحرب طريقا لتحرير فلسطين كلها .

– ومرة تكون طريقا لازالة آثار العدوان و « الاعتراف بسيادة دول المنطقة » .

– ومرة ثالثة تكون صداما مع الامبريالية واسرائيل .

– ومرة رابعة تكون طريقا لتنفيذ قرار مجلس الامن الخ ..

لا تعبئة شعبية لخوض الحرب في ظل فوضى وتخبط حول سبب الحرب ذلك فانون من قوانين التعبئة النفسية والمعنوية .

ففي المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف ردت اسرائيل على تراشق الاسلحة الخفيفة ومدافع الدبابات والهاون بغارات الكوماندوس في العمق وذلك الاسلوب لم يكن لينجح لو ان الشعب العربي في ج.ع.م كان مهيأ لتلقي مثل هذه الضربات . ان القيمة الحقيقية لتلك الضربات كانت قيمة معنوية اكثر من اي شيء آخر . والهزة التي احدثت غارة « نجح حمادي » كانت تدور حول نقطتين :

● اولا : كيف استطاع العدو الوصول الى نجع حمادي وأين هي الدفاعات الفعالة ضد غارات الكوماندوس ؟ اي ان مجرد وصول العدو الى الهدف كان بحد ذاته ضربة معنوية .

● ثانيا : بعد وصول العدو الى الهدف لماذا لم تكن هناك مقاومة عند الهدف نفسه ؟ ولماذا كانت المباغتة كاملة ؟

فلو ان منظمات المقاومة الشعبية كانت فعالة ونشطة لما امكن للعدو ان يتسلل وان يباغت هدفا حيويا مثل نجع حمادي .

لربما كان بامكانه تحقيق تفوق تكتيكي على المقاومة وضرب الهدف .. ولكن وجود المقاومة وتصديها للغارة ولرفاع خسائر في صفوف القوة المهاجمة ، ثم محاولة تعطيل انسحابها ، او محاولة التصدي لها على طريق عودتها كلها امور بالغة الاهمية وذات اتصال مباشر بالمعنويات .

مثال آخر هو الغارات في العمق . لقد اثبتت الغارات الاميركية على فيتنام الشمالية فعالية انواع معينة من الاسلحة الخفيفة المضادة للطائرات . وقد اتضح بالتجربة الحية ان توافر هذه الاسلحة الخفيفة بين ايدي قوات المقاومة الشعبية يمكن ان يلحق بطائرات العدو خسائر لا يستهان بها . ليس هذا فحسب بل ان الاثر المعنوي للغارات الجوية يتضاءل كثيرا حين يعبد السكان ان آلاف الاسلحة الخفيفة والمتوسطة الموجودة لدى قوات المقاومة الشعبية تنشط في صد الطائرات المغيرة . وفي اكثر من الحالات فان شعور المدنيين بالحرز الكامل امام الطائرات المغيرة قد يكون اسوأ من خسائر الغارات المادية وسقوط طائرة واحدة بنيران رشاشات المقاومة الشعبية يكون له اثر معنوي يساوي مفعول عشر غارات معادية .

ان تجربة الغدا تبين الفلسطينيين مع الغارات الجوية الاسرائيلية على قواعدهم وحشودهم لابرز دليل على اثر التعبئة المعنوية ، وما يتركه وجود سلاح مضاد (مهما كان بسيطا وبدائيا) في نفوس المدافعين بوجه الغارات .

×××

لقد فشلت حرب الاستنزاف لاننا تجاهلنا القواعد الاساسية لهذه الحرب .

وبالمقابل فان العدو ، شانه دوما ، قد اكب بجلد وطول اناة على استكشاف نقاط ضعفنا كي يضربنا فيها وعن خلالها ..

وتلك هي الحرب .